ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 08، العدد: 02 (2023) ص : 169 - 177

الأنا الأنثوية وتمثلات الذكورة في السرد النسوي الجزائري

« رواية- الممنوعة- لمليكة مقدم أنموذجا »

The female ego and representations of masculinity in feminine discourse

"A cultural approach to the novel - The Forbidden - by Malika Moghaddam"

بعجي إسمهان*

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة(الجزائر)

baadjiisma@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/03/13
تاريخ القبول:
2023/10/08

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **السرد الأنثوي، النص**
- ✓ **النسق المضمر، النسوية**
- ✓ **الهيمنة الذكورية، شخصية فاعلة**

الملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى الوقوف على الكيفية التي تم بها إدراج المرأة كشخصية فاعلة ومؤسسة للبنى السردية للنص الروائي، وكذا تمثلات الذكورة في السرد الأنثوي، محاولين الكشف عن الأنساق المضمرة التي تتضمنها الرواية، وقد وقع اختيارنا على رواية "الممنوعة" لمليكة مقدم؛ باعتبارها رواية أنثوية رافضة للوضع الذي تعيشه المرأة داخل المجتمع الذكوري.
وقد اتبعنا في ذلك القراءة التأويلية بغية استكناه البنى السردية للرواية وأنساقها المضمرة.

Article info

Received
13/03/2023
Accepted
08/10/2023

Keywords:
- ✓ *Narrative structure;*
- ✓ *implicit pattern;*
- ✓ *male dominance; active*
- ✓ *character; text ;feminism.*

Abstract :

Through this study, we seek to identify how women were included as an active character and founder of the narrative structures of the narrative text, as well as representations of masculinity in the feminist novel, trying to reveal the implicit patterns contained in the novel. We chose the novel "Forbidden" by Malika Mokaddam; As a feminist novel rejecting the situation in which women live within a patriarchal society

In this we have followed the analytical approach, by appreciating the narrative structures of the novel and its implicit patterns.

* بعجي إسمهان

1. مقدمة

تعد الرواية الفسحة الأنثوية التي تسعى من خلالها المرأة لحماية وجودها المؤنث من تسلط الثقافة الذكورية، فقد عانت المرأة ولازالت من هيمنة قيم ومعتقدات وسلطات ومؤسسات وثقافة متحيزة تتعامل مع المرأة جسدا وبنوع من الريبة والدونية، وقد ظلت الهيمنة الذكورية الأبوية هي المشكلة التي تعاني منها المرأة في مجتمعاتنا العربية.

وبناء على هذا الطرح حاولت هذه الدراسة الوقوف على ما قدمته الرواية النسائية "الممنوعة" لمليكة مقدم من صور لانتفاضة المرأة ضد طغيان الرجل ؛ وذلك من خلال التنامي السردي للرواية، فهل تعد الشخصية النسوية شخصية فاعلة ومؤسسة للبنى السردية داخل الرواية، باعتبارها الموضوع الأساس داخل الرواية؟ أم أن الروائية قد سقطت في فخ الهيمنة الذكورية؟

منتهجين في ذلك المنهج التحليلي الذي نراه قادرا على كشف الأبنية المضمرة للنص الروائي.

مرت الكتابة النسوية كغيرها من الكتابات بالعديد من التغيرات والتجارب، مست الجوانب الشكلية والبنيوية وكذا أشكال الوعي فيها، فقد أتت المرأة إلى اللغة بعد أن سيطر الرجل على كل الإمكانات اللغوية وقرر ما هو حقيقي وما هو مجازي في الخطاب التعبيري، حيث لم تكن المرأة في هذا التكوين سوى مجاز رمزي أو مخيال ذهني يكتبه الرجل وينسجه حسب دواعيه البيانية والحياتية (الغذامي، 2006. ص:07).

لقد دخلت المرأة هذا العالم المحظور ومدت يدها إلى اللفظ الفحل والقلم المذكر، بعد أن غابت الأنوثة غيابا تاما عن التاريخ، لأنها غابت عن اللغة وعن الثقافة وسبب هذا سيطرت الفحولة على اللغة فجاء الزمن مكتوبا ومسجلا بالقلم المذكر، واللفظ الفحل(الغذامي، 2006. ص:11) ، وظلت على هذا المنوال حتى جاء زمن امتلكت فيه المرأة يد الكتابة، وكتبت.. فهل تراها تملك القدرة على تأنيث اللغة أو بالأحرى جعل الثقافة ثقافة عادلة بين الأنوثة والفحولة، هذا ما سنراه من خلال رواية: " الممنوعة" لمليكة مقدم.

فإذا كان السرد انزياح عن زمنية عادية من أجل زمنية جديدة، تعطي للتجربة الزمنية التي ستروى بؤرتها وإطار وجودها (بنكراد، 2008. ص:57) ، فإن السرد في رواية مليكة مقدم هو سرد تحاول بواسطته الخروج من زمنية سيطرت فيها اللغة الذكورية والبلوغ إلى زمن في أقل تقديراتها تكون منصفة للغة الأنوثة، سرد يصف ويحتوي كل ما تعانيه المرأة، وتعالج من خلاله قضايا مختلفة بتنويعات متباينة، فهو في الواقع سرد يعكس ظاهرة الوعي النسوي، بالذات وبالعالم، ثم إن الرؤية السردية التي تضمنتها رواياتها هي رؤية أنثوية في عمومها ترفع اعتراضا جوهريا-معلنا - ضد الرؤية الذكورية التي صاغت الوعي الاجتماعي العام صوغا أحاديا يفتقر إلى التنوع والتعدد(عبد الله، 2008. ص:311).

فالرواية التي بين أيدينا " الممنوعة" هي للروائية الجزائرية مليكة مقدم والتي اتخذت فرنسا كبلد للإقامة لها هروبا من القمع الذكوري في الجزائر، مستعرضة في هذه الرواية تجربتها الذاتية؛ فتواجه بذلك استلابا باستلاب مضاد، تحاول الكاتبة مواجهة استلاب الهوية الأنثوية المسلط من قبل الذكر باستلاب مضاد يتمثل في استلاب الأبوة والفحولة من الذكر.

إن التمثيلات السردية للعالم هي نتاج وعي الأفراد نساء ورجالا، بأحوال العالم ووجودهم فيه، لذا كان لابد من الإشارة إلى أن تلك الرؤية الفردية ليست منقطعة عن خلفياتها الاجتماعية التي تتسرب إلى تضاعيفها وتتفاعل فيما بينها، لتضمر في داخلها كثيرا من التجارب العامة والخاصة، ويمكننا فحص هذا الوعي النسوي في رواية "الممنوعة" لمليكة مقدم من خلال النقاط التالية:

2. تمثيلات الذكورة في البنى السردية للرواية:

شهدت الأعوام الأخيرة من القرن العشرين تنامي واضح للرؤية الأنثوية في الكتابة السردية وكان ذلك متزامنا وموازيا لحركة متنامية للمرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية، فالمرأة حققت مساواتها بالرجل في الحرية والاستقلالية والتعليم والعمل المنتج مما حقق لها إنسانيتها في المجتمع، غير أن هناك من يرى أن تخصيص الحديث عن إبداع المرأة أو ما يسمى بالأدب النسوي يشي بأن هذا الإبداع ما يزال يطرح كظاهرة استثنائية أو غير عادية أو حتى لا طبيعية (مختاري، 2014. ص:43) ، فإبداع المرأة كإبداع الرجل صيغة إنسانية للتحاور مع النفس والحياة والوجود من خلال اللغة والتقاليد الأدبية والتراث القومي (مناصرة، 2002. ص:140).

وتعد مليكة مقدم إحدى تلك الروائيات اللاتي انتفضن ضد هيمنة الرؤية الذكورية واستبداد ثقافتها، غير أن هذه الانتفاضة لم تضف شيئا إلى السرد الأنثوي بل نراها لا تزال خاضعة للهيمنة الذكورية، بل وعلى العكس من ذلك كرست أن هذا العالم وبكل مستوياته لابد أن يكون ذو سلطة ذكورية وأن المرأة هي العنصر المتسلط عليه دائما، ونستدل عن ذلك من خلال الأبنية السردية التي قامت عليها روايتها "الممنوعة":

البنية السردية الأولى:

" ...كان يوما عصفت فيه رياح الحنين أيضا...وفجأة غمرتني رغبة الاستماع إلى ياسين.... وأججت بداخلي الحنين إلى الوطن" (مقدم، 2008. ص:08)

جعلت الكاتبة "ياسين" محور البنية السردية الأولى في روايتها وأحد شخصياتها الرئيسية والمسببة لتنامي الرواية، فبطلة روايتها بالرغم من أنها طبيبة مثقفة وتعمل خارج الوطن مكتفية ماديا ومعنويا إلا أنها كانت تفتقد ياسين الذكر حبها الأول، وأن حنينها وشوقها لياسين هو من أجج حنينها للوطن، كم أن الشوق لياسين هو من كان فاتحة الرواية ودافعا لنسج أحداث روايتها.

إن هذا الضعف والاحتياج –والذي كانت تغطيه قوة وكبرياء- للجنس الآخر بالرغم ، هو ما ميز بطلة مليكة مقدم، فهي تريد بهذه الصورة المضمرة أن تقول بأن المرأة كائن ضعيف بدون الرجل حتى وإن كانت المرأة مثقفة، ذات مال وسلطة..

إن ما ميز كتابات مليكة مقدم هو انتفاضتها الدائمة لسطوة الذكر وجبروته على الأنثى؛ ولكن القارئ المتفحص يكشف خلاف ذلك فكل مقاطعها السردية تتضمن صورة واحدة وهي: أن المرأة كائن ضعيف ولا تقوى إلا بوجود الرجل.

البنية السردية الثانية:

" توجهت نحو تاكسي ...

من فضلك سيدي هل تأخذني إلى عين النخلة؟ قال السائق: أنت بنت من؟ بنبرة قلقة...

لا أحد...تروحي عند من في عين النخلة؟ لا أحد.....

ثبت الرجل بصره في المرآة لا أحد غير موجود...

لم أنس شيئا(تقول البطلة). ولا ذلك الفضول الجارح. ولا ذلك التدخل السافر

لم أنس أيضا شيئا من رعب الماضي"(مقدم، 2008. ص:09-10).

مرة أخرى تبين لنا الكاتبة من خلال هذه البنية السردية ضعف المرأة وانكسارها أمام طغيان الرجل الذي يتدخل في شؤونها بطريقة فضة الأمر الذي جعلها تشعر وكأنها فارة من فعل جريمة ما؛ هذا الفضول الذكوري أحيا فيها رعب الماضي والذي مازال يعصف بكيانها، فبطلة الرواية تحمل هموما من الماضي سببها الطغيان الذكوري ولازالت ترتعد منه حتى في حاضرها حتى وهي امرأة ناضجة حرة مستقلة مثقفة.. ولكن صوت الذكر لازال يزعزع كيانها.

البنية السردية الثالثة:

"صالح: لم تتكرمي بزيارته ولا حتى بالإجابة على رسائله....

خنقني كلامه. بحثت عن جواب لاذع أردته جارحا...ابتلعت حقد...." (مقدم، 2008. ص:20-21)

تقف البطلة عاجزة عن الرد أمام الفضول الذكوري السافر أمام صديق حبيبها السابق؛ لتؤكد الكاتبة وهي تواجه الاستلاب الذكوري أحقية ذلك الاستلاب والطغيان.

البنية السردية الرابعة:

" ....يقول فانسان:" الكِلية لمن؟" –إنها كلية إمرأة عمرها سبعة وعشرون سنة

-يصيح فانسان : امرأة. امرأة شابة ..تحت الصدمة ..أظن أنني عدت ثانية إلى مأوى التخدير... قد غرست بداخلي جرثومة : الجنس الآخر"(مقدم، 2008. ص:28)

بالرغم من أن المرأة في هذا المقطع السردي هي مانحة معطاءة للذكر، إلا أنها هذا الأخير كان ناكرا للجميل والعطاء متأففا من كون العضو الممنوح كان لامرأة.. إنه الجنون الذكوري.. إنه كبرياء رجل لا يعترف بالجنس الآخر على الرغم من أنه رجل غربي إلا أن جينات الذكورة لا تميز بين الشرقي ولا الغربي، وهذا ما أكدته الروائية؛ فظلم المرأة والنظرة الدونية الموجهة إليها يشترك فيها الذكور وعلى اختلاف أعراقهم.

البنية السردية الخامسة:

" ..... أراد أن يعطي لي الرسم. أنا أيضا أرغب في ذلك كثيرا. ولكنني خائفة

-خائفة من الرسم؟

- عندا في البيت، سيصرخون. سيضربونني. ولن يتركوني أخرج مرة أخرى أبدا. سيفصلونني من المدرسة...

- لا ينبغي أن يروا هذه اللوحة"(مقدم، 2008. ص:28)

طفلة تعكس ماضي البطلة...في الحقيقة هو ماضي كل امرأة تعيش التعنيف والاضطهاد والكبت جسدته الكاتبة في هذا المقطع السردي دون أن تعطي خلاصا أو تجد حلولا، لتعلن بذلك أن هذا الطغيان الذكوري لن يزول، وعلى المرأة التعايش معه وانتهى، ففانسان لم يقدم حلا للطفلة (بطلة هذا المقطع) بل اخبرها أن لا تخبر إخوتها بأمر اللوحة لأن ذاك الخبر سيزعجهم.

ويستمر تنامي البنى السردية الرافض لجبروت الذكر علنا والداعم له اضمارا.

البنية السردية السادسة:

"..بدت لي الطريق فارغة بشكل مدهش، حين هزني صرير عجلات مخيف، فرمل علي مرباح مثل مجنون على خطوتيم مني:

-ماكلاه تلعبيها معنا،... وترقدي مع القبايلي والرومي! إيجي نهارك يا الكلبة، إيجي نهارك.

-بقيت واجمة، خنجر الشتيمة مغروس في قلبي، أتابع السيارة وهي تبتعد..." (مقدم، 2008. ص:125-126)

تتنامى الوحدات السردية للرواية وفي كل وحدة بطلها ذكر متسلط على الأنثى، هذه الأخيرة صورتها الروائية في كل الوحدات السردية امرأة مثقفة وواعية ولكنها في المقابل ضعيفة لا تملك سوى الصمت، امرأة متناقضة محطمة مستسلمة أمام البطل (الذكر).

البنية السردية السابعة:

" بعد موت أمي ، أجر خالي المنزل. بدا لي ذلك وقتها اغتصابا. أردته سليما. إلى الأبد.....

-ارتفع صوته (الأب)، بدأ يصرخ: أين كنت؟ أين كنت؟

-ارتمى عليها تصرعا تشاجرا...فجأة سقطت أمي، بقيت جامدة بلا حركة...توقف الزمان في عينيها"(مقدم، 2008. ص:127-163)

في هذه البنية السردية تقلب الموازين ويصبح الأب الذي هو سبب الوجود والرعاية والتكفل بالأسرة إلى قاتل وهادم لأسرته، تصور هنا الكاتبة أبشع صور الذكورة المتسلطة، الروائية وفي كل مقاطع روايتها البطل هو الذكر، بطل الاستلاب ولكنه أيضا بطل في نسج أحداث الرواية فلولاه ما كانت رواية الممنوعة.

ففي جميع الوحدات والأبنية السردية للرواية تجعل مليكة مقدم من أبطال هذه الوحدات ذكورا وعوامل أساسية لتنامي روايتها، ودافعا أساس لمضي بطلتها في نسج أحداث الرواية، فيكون بذلك الذكر مركزا لبناء الرواية من جهة ومركزا لبناء حياة الأنثى من جهة ثانية.

فباعتبار البنية نظام متسق تتحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك، تجعل اللغة مجموعة من الوحدات أو العلاقات، ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل (شحيد، 1986. ص:06) ، تتمظهر الأبنية السردية في رواية " الممنوعة" بشكل نظام يتكون من وحدات وأجزاء متماسكة بحيث يتحدد كل جزء بعلاقته مع الأجزاء الأخرى، كما أن لكل جزء أو بنية سردية بؤرة سردية تقوم عليها وتعمل على تنامي الأحداث فيها، وتتمثل هذه البؤرة في وجود عنصر الذكر(مركز البنية السردية1: ياسين، مركز البنية السردية2: سائق الطاكسي، مركز

البنية السردية3: صالح.....)، هذا ما يعكس أن الاستيلاء الذكوري أو أن الرؤية الذكورية لازالت تسيطر على الكتابة النسوية، وإن كانت تبدو في الظاهر انتفاضة ضد الذكورة.

إن هذا الطغيان الذكوري يفسر أن المرأة لازالت ولا تزال تحت وطأة الهيمنة الذكورية سواء في العادات والتقاليد وحتى القلم.

ويمكننا تمثيل البنى السردية التي قامت عليها رواية "الممنوعة" كما يلي:

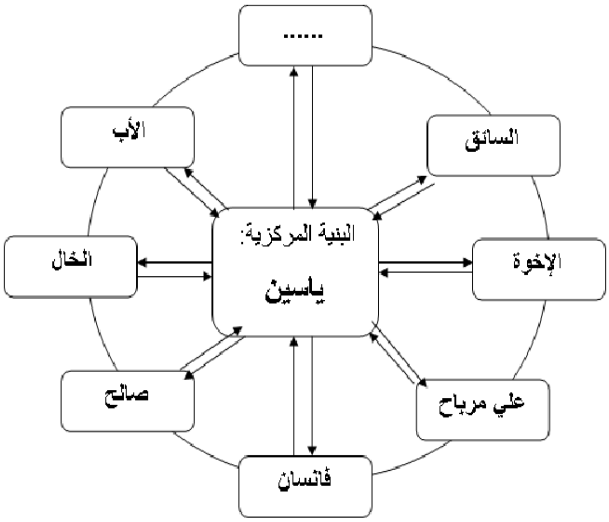

مخطط البنى السردية في رواية "الممنوعة"

في كل المقاطع السردية كانت الشخصية الفاعلة والمحركة لأحداثها رجلا بدءا من المقطع السردي الأول ، الذي كان بطله ياسين ليليه المقطع السردي الثاني الذي ميزته الشخصية الفاعلة سائق التاكسي، ثم المقطع الثالث الذي كانت الشخصية الفاعلة فيه هي علي مرباح .., وهكذا إلى غاية آخر مقاطعها كانت الشخصية الفاعلة والمرافقة للبطلة ذكرا أو ذاتا ذكورية سيطرت على بناء الرواية وتسلسل أحداثها، إن هذا الاكتساح من الذات الذكورية لأحداث الرواية ما هو إلا انعكاس للواقع الذي تميزه السلطة الذكورية؛ فالكاتبة هنا لم تتخلص من هذه السلطة مع أنها كانت تبدي للقارئ انتفاضتها ؛ لكن قلمها كان يقول عكس ذلك.

لقد قادت الممارسة السلطوية الذكورية إلى دعم نسق ثقافي في ذهن المجتمع يحط من قيمة الأنثى ويؤمن بدونيتها، ويختزلها إلى كائن ثانوي تجب متابعته وحصاره بعد البلوغ حماية لعذريته في إطار من القمع والنبذ توجسا من ثقافة الخطيئة التي لا تصدر إلا عن المرأة، مما دفع الكثير من النساء إلى الإيمان بهذا الدور الذكوري وضرورة الترويج لشرعيته.

3. الهوية الأنثوية والكيان المكبوت:

تعد الكتابة تفجير للمكبوت والمخفي، فالمرأة من خلال مختلف أشكال كتاباتها الجسدية والرمزية تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن لتعلنه في حوارها - صراعها - مع الرجال. فالسرد النسائي يبحث عن شخصيتها وكينونتها قائلة عن نفسها (أنا هنا) وينكر الخلفية التي تقدس الرجولة والذكورية ويرفض السائد الاجتماعي ويكسر المألوف ويبني عالم الإناث الجديد الذي يقوم بالهوية الجماعية لنفسها ولوحدها.

لقد امتلكت المرأة ضمير الأنا في كتابتها وكان ذلك الامتلاك هو أكبر محاولة لاكتساب هويتها ثقافيا واجتماعيا لأنها قدرت من خلال هذا الضمير على التعبير بقضيتها بينما الرجل لم يكن متكلما عنها وعن حقيقتها وعن هويتها نيابة عنها. فهنا بدأت تتكلم عن نفسها وتعبر عن ذاتها. وكذلك امتلكت المصطلحات الأخرى كمصطلح (الآخر) وهي تتكلم به عن الرجال وكانت هي الآخر أو الأخرى إلى أن امتلكتها. وقد قامت أيضا ضد المصطلح (الأبوية) وهو يشير إلى تفوق الرجل في المجتمع وسيطرته عليه. وهكذا واجهت مشكلتها في العالم بأسره لأن مشكلة الهوية التي تعاني منها المرأة تتساوى في العالم الغربي والعربي. فشاركت النساء كلهن شرقا وغربا في هذا النضال عن طريق كتاباتهن.

ولكن تلك الكتابات في عالمنا العربي سرعان ما تنهار وتكشف عن ضعف صاحبتها وحزنها وقهرها؛ حيث يرى أنور الجندي خصوصية الأدب النسوي الحديث بكونه يبرز هيمنة طابع الحزن والحرمان والنظرة المتشائمة فيقول:" تبدو صورة الأدب النسوي المعاصر وقد علاها سحابة قاتمة من الحزن والألم، يغمر الحزن أعلامها وتبدو الحياة أمامها متعثرة مضطربة، فيها صراع الحضارة، وأزمات النفس بين الزواج والحب والأمومة الوالدة والعميقة، وإذا كانت هذه هي صورة الأدب النسوي في الأربعينيات فما أظن أنها بعد ذلك قد كشفت عن ابتسامة أو إشراق أو تفاؤل" (الجندي، دت. ص:132).

ويمكننا أن نفسر هذا الحزن والألم والانكسار الذي تطبعه المرأة في كتاباتها وبالذات في شخصياتها السردية بضمور الهوية الأنثوية وقبعها تحت سلطة الرجل، فالأنثى في راوية " الممنوعة" تمتثل لنوع من الحياء، والضعف والانكسار مما يفسر وجود كمون وكبت أنثوي للشخصيات الأنثوية داخل الرواية، وقد أظهرت الكاتبة في نهاية روايتها انتفاضة الأنثى ضد ظلم الرجل، وقد اعتبرت الكاتبة هذه الانتفاضة نظير الحزن والبكاء فهو انكسار لأنثى بسبب سطوة الذكر، ونستشهد بذلك من خلال بعض المقاطع السردية من الرواية:

" لأنك تشعرين بنفسك مفككة؟ -نعم، أنات متعددة ومشتتة. –ولكن لماذا هذا الإحساس؟

-ربما بسبب ثابت اللامقبول وشيء مكسر بداخلي. يفقد لك انسجامك. تتحول إلى كائنات عديدة...أن تكون مشتتا بهذه الكيفية، فكأنك لست موجودا....." (مقدم، 2008. ص:108).

بطلة الرواية تخفي شتاتا وضياعا سببه الماضي (الذكر)، فقد عانت قسوة الأب وحرمانه وقسوة أهل قريتها، بهذا فهي اللاموجود، تملك هوية ممزقة. وتوصل سرد ذاتها قائلة:

...أما أنا، فأنا متعددة ومفرقة، منذ الطفولة. ومع تقدم العمر والمنفى، تضخم وضعي وتفاقم...." (مقدم، 2008. ص:139)

"قحـ..إن هذه الكلمة تغرس الجزائر في نفسي مثل خنجر... قحـ..كم مرة، أثناء فترة المراهقة، وأنا مازلت عذراء ولكنني جريحة، تلقيت هذه الكلمة كقيء على براءتي. هذه الكلمة لفترة طويلة لم أتمكن من كتابتها على إلا بأحرف من الحجم الكبير، كأنها كانت هي المصير الوحيد...." (مقدم، 2008. ص:12)

كل آلام الأنثى ذكر، حتى أن مصيرها مستقبلها متوقف على حكم الذكر ، بطلة الرواية تملك ذاتا منكسرة وحزينة بسبب إهانات الماضي التي وسمها بها الذكر وكأن مستقبلها لن يتحدد إلا من طرف الذكر...

"نعم لدي عدد كبير من الإخوة يكثرون من الضجيج...يتشاجرون حتى مع أمي...ولكنها تقول أيضا:"أطيعي إخوتك، وإلا لست ابنتي"" (مقدم، 2008. ص:36)

الأنثى هي من تدعم طغيان الذكر عليها، فتهديد الأم لابنتها في حالة لم تطع إخوتها دليل على ذلك، إن هذا الطغيان مترسخ في اللاوعي الأنثوي، فمنذ صغرها تعلم أنها ضعيفة ويجيب أن تخضع للقوي حتى وإن كان ظالما..

وتبين الكاتبة أن سبب بؤس بطلتها هو حرمانها وفقدها للذكر:

"مات هذه الليلة.. عاودني الغثيان...كذبت على نفسي:إنه كابوس، كبش أسود اخترق بالقوة حقل لامبالاتي الأبيض..." (مقدم، 2008. ص:09).

" أمي تقول دائما بأن الفقر هو المتسبب في كل هذا، تقول أيضا بأن الاستقلال ظالم. أحيانا تكون حزينة إلى درجة تقول بأن الله ظالم هو أيضا. حينما تقول هذا الكلام يصرخ إخوتي الإسلاميون ويتشاجرون معها...." (مقدم، 2008. ص:38)

على الرغم أن سبب الفقر والبؤس والحرمان هو الذكر سواء كان الأب الذي يمضي وقته في المقهى يلعب الدومينو أو الأخوة الذين لا شغل لهم سوى الصراخ والشجار مع أمهم وأختهم، إلا أن الأم تسقط جل لعناتها على الفقر وكذلك الاستقلال رمز الحرية وتتجاوز لعناتها لتصل إلى المقدس (الله)، لأن المقدس في نظر الأم ببساطة هو الذكر وليست الحرية ولا الله، إذ كثيرا ما كانت تهدد ابنتها بأن لا تكلمها إن هي عارضت إخوتها.

مرة أخرى تثبت الكاتبة أن الأبوة والذكورة شيء مقدس يعشعش في ذهن كل امرأة ولا يمكن الخلاص منه.

تقوم رواية مليكة مقدم "الممنوعة" على حشد العديد من المعاني لترسم العلاقة بين الرجل والمرأة وتحدد مكانة المرأة فيها، فالشخصية الذكرية بالنسبة للشخصية الأنثوية داخل الرواية هي: السند، سبب السعادة، كل الأماني، المستقبل، الماضي...، كما أن غياب الشخصية الذكرية يعني الحرمان، الفقد، الألم، الكآبة بالنسبة للشخصيات الأنثوية (الأم، سلطانة،...)، فالشخصية الأنثوية هي شخصية ضعيفة تبحث على مسار الرواية من يسد عجزها وضعفها، فتبرز بذلك الروائية حاجة المرأة للرجل وفي كل مرحلة من روايتها.

هذا كله يعني أن اللغة لازالت لغة ذكورية وأن القلم لازال قلما فحلا، مما يدل أيضا على أن هذه الثورة في الكتابة النسوية ليس إلا تهليلا مزيفا وتعاطفا ثقافيا، حيث يقول حسين مناصرة:" إن تعاطف المجتمع الثقافي العربي مع كتابة المرأة أساء إليها كثيرا" (مناصرة، 2008. ص:145). أساء إليها لأنها لم تعبر لا عن ذاتها ولا عن استقلاليتها فهي دائما كائن تابع لذكر. كما أن هذه الكتابة النسوية هي ثورة مزيفة وليست حقيقية (طرابيشي، 1987. ص:47)، وسبب ذلك أن المرأة غيبت عن التاريخ وعن الثقافة ومن ثمة اللغة على مر عصور من التاريخ، فكيف لربع قرن أن يكون كافيا لتصنع المرأة لغتها الخاصة بها دون أن تغير من التاريخ والثقافة أولا، ثم لها أن تؤسس لغتها الخاصة بها بعد ذلك.

4. خاتمة:

قدمت مليكة مقدم نصا روائيا، يبدو هذا النص رافضا لوضع المرأة داخل مجتمع يكرس سلطة الرجل ويسلب وجود المرأة وكيانها، ولكن المضمر في طيات هذا النص وداخل نسيجه السردي يظهر غير ذلك، فشخصيات الكاتبة وعلى طول تنامي البنيات السردية للنص هي شخصية ضعيفة منكسرة لا يمكن أن يكون لها وجودا أو استقرارا ذاتيا إلا بوجود بسلطة الذكر عليها؛ الأمر الذي يجعلنا نجزم أن القلم لازال ذكوريا حتى وإن كان صاحبته أنثى.

لقد قدمت مليكة مقدم روايتها "الممنوعة" من زاوية خاصة ترى من خلالها أن المرأة تعيش سلسلة من العذابات والآلام التي لا تنتهي والتي كان سببها الرجل، كما أنها طرحت فكرة تمرد المرأة المقهورة على هذا الرجل، وإن كان تمردا لا ينم سوى عن الضعف والانكسار، فحتى تتفرد الكتابة النسوية بأدب خاص بها يكون لزاما عليها أن تطرح قضية المرأة بعيدا عن الصراعية، كما يجب التركيز على إنسانية المرأة وأن تعيش دورها الطبيعي في المجتمع.

قائمة المراجع:

1. مقدم، مليكة. 2008. **الممنوعة**. الجزائر: الاختلاف .
2. الغذامي، عبد الله محمد. 2006. **المرأة واللغة**. المغرب: المركز الثقافي العربي.
3. بنكراد، سعيد. 2008. **السرد الروائي وتجربة المعنى**. المغرب: المركز الثقافي العربي.
4. عبد الله، إبراهيم. 2008. **موسوعة السرد العربي**. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
5. مختاري، فاطمة. 2014. **خصوصية الرواية النسائية العربية**. الجزائر: آفاق علمية.
6. مناصرة، حسين مناصرة. 2002. **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**. لبنان: دار الساقي.
7. شحيد، جمال. 1986. **في البنيوية التكوينية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان**. لبنان: دار ابن رشد .
8. الجندي، أنور . دت. **أدب المرأة العربية**. مصر: مطبعة الرسالة.
9. طرابيشي، جورج. 1987. **الاستلاب في الروائية النسائية العربية**. لبنان: دار الطليعة.